النشاط التبشيري في قارة أفريقيا

الدكتور
عبد الفتاح عبد العزيز محمد حسين
مدرس الدعوة والأديان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة السلام على إمام الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (ﷺ) نبي الهدى ، وواسع الندى ، وعلى آله وصحابته ، أجمعين .

خيرها هاد إلى الله – تعالى – وأفضل داع ، ناصح الأمة وكاشف الغمة ، وتارك الناس على المحجة البيضاء ، فصلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار والمصطفين الأخيار .

أما بعد

إن الحديث عن نشاط المبشرين في الأوساط الإسلامية من الأهمية بمكان ، ذلك لأن خطرهم شديد ، وكيدهم عنيد ، وشيطانهم مريد ، فهم على اختلاف توجهاتهم ، وتباين أجناسهم ، وتباعد بلادهم يجتمعون على شيء واحد ، هو العمل على محو الإسلام ، وتضييع هوية المسلمين ، وتنصيرهم ، أو جعلهم مسخاً بلادين

إن فريق المبشرين – المنصرين – بتعاون وتنسيق مع المستعمرين لا يألون جهداً في تحقيق غاية كبرى ، هي إزاحة الإسلام ، وتنصير العالم بأسره لا سيما هؤلاء المسلمين ، لأن قوة الإسلام الذاتية تخيفهم وترهبهم .

والحقيقة أن هذه الهجمة الجبارة – والتي تعمل ضد الإسلام بشراسة – لا تخفي على علماء وعقلاء الأمة ، فكيدهم مفضوح ، ومكرهم معروف ، وسترهم مكشوف . قال تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (١)

وقال سبحانه : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ (٢)

---

١ – من الآية (٣٠) من سورة الأنفال .

٢ – الآية (٤٦) من سورة إبراهيم عليه السلام .

أولاً : تعريف التبشير وأهدافه :

تطلق كلمة التبشير " التنصير " ويراد بها الخداع والتضليل .

وأصل كلمة "تبشير" مأخوذة من البشارة ويعني بها البشارة بالخير ، يقال "بَشِرَ" بالخير بشراً فرح به وسُرَّ و– بَشَرَ بالشيء: استبشر به ، و (بَشُرَ) بشارة : حَسُنَ وجمل فهو بشير جمع بُشراءُ ، و (أبشرت) الأرض : أخرجت أول نبتها ، و (أبشر الرجل : فرح وسُرَّ ، ويقال : أَبْشَرَ به ، وفي التنزيل العزيز ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١)

ومن خلال استعمالات اللفظة كما سبق نجد أنها قد استعملت في التبشير بما هو خير ، ولو ظلت الكلمة على ما هي عليه من الدلالات اللغوية ، لكان الأمر خيراً ، ولكن شتان بين ما جرت عليه الكلمة من الدلالات اللغوية في معاني الخير ، والمعنى العرفي الذي تعارف أو اصطلح عليه النصارى .

فالكلمة قد تطورت في معناها عند رجال النصرانية (٢) وقصد بها التبشير بدين النصرانية ، فهي إذن تساوي معنى الخداع والتضليل .

يقول صاحب كتاب أجنحة المكر الثلاثة (التبشير:تعبير أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها لتنصير الشعوب غير النصرانية ، لاسيما المسلمون،ثم تحول هدف التبشير داخل الشعوب المسلمة إلي غاية التكفير وإخراج المسلمين عن دينهم ولو إلي الإلحاد والكفر بكل دين) (٣) .

---

١ – المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية د / إبراهيم أنيس وآخرون ج ١ ص (٥٧ ، ٥٨) الطبعة الثانية دار المعارف مصر سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م وعجز الآية ٣٠ من سورة فصلت .

٢ – يقال على علماء دين النصارى رجال دين أما عندنا نحن المسلمين فنقول علماء الدين

٣ – أجنحة المكر الثلاثة وخوا فيها التبشير ، الاستشراق – الاستعمار للأستاذ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص (٥٠) الطبعة السابعة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، دار القلم دمشق .

إذن المعنى العرفي عند المبشرين يقصد به إدخال غير النصارى في النصرانية ، وبالذات تحويل المسلمين وصرفهم عن دينهم ، ومعتقداتهم إلي النصرانية أولاً ، فإن لم يكن إلي النصرانية ، فتكفيرهم وإخراجهم عن دينهم وجعلهم ملاحدة أو مسخا بلا دين ، وهذا هو الهدف والغاية ، صرف كل ما هو نصراني ، وبالذات المسلمين إلي النصرانية ، أو على الأقل إخراجه عن دينه إلي الكفر والإلحاد .

و(المبشرين : هم الذين يجندون أنفسهم للقيام بمهام التبشير سواء أكانوا من العاملين أو العاملات في السلك الكنسي ، أو المتطوعين والمتطوعات من ذوي الاختصاصات الأخرى ، وذلك عن طريق الدعوة إلي النصرانية صراحة أو عن طريق التعليم المنهجي أو التثقيف العام أو الخدمات الصحية أو غيرها ، ودسّ الأفكار التبشيرية فيها) (١) .

فالهجمة التبشيرية إذن واسعة ، لا حدود لها ؟، في استقطاب المسلمين ، أو غيرهم ، ويقوم بها متخصصون وغير متخصصين ، وتذكر صراحة أو ضمنا في خطط ومناهج تعليمية وتثقيفية ، أو في صورة خدمات اجتماعية أو صحية ، والهدف هو إخراج المسلمين عن دينهم ، وتحويلهم إلي النصرانية أو أن يكونوا بلا دين كما سبق .

وثمة أهداف أخرى عديدة يلخصها أحد المفكرين قائلاً : يمكن تصوير أهداف التبشير في مطلبين كبيرين تندرج تحت كل منهما جزيئات عديدة :

المطلب الأول : تشكيك المسلمين في عقيدتهم ودينهم ، وتنفير غير المسلمين من الإسلام .

المطلب الثاني : الدفاع اللاهث الأنفاس عن "النصرانية" وتكثيف الحجب حولها حتى لا تتكشف "عوراتها" أمام الأنظار فيزهد فيها من آمن ، ويزول آخر رمق تتمسك به الكنيسة ، بعد الضربات القاضية التي منيت بها إبان حركة

١ - المصدر السابق ص (٥٠) .

الإصلاح الديني في أوربا – من بداية القرن الخامس عشر الميلادي على يد مارتن لوثر ورفاقه ، ثم ما منيت به في عصر التنوير (النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي) وكانت نهاية البداية لنهاية أخرى على أيدي الثوار الفرنسيين الذين كان شعارهم "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس" (١) .

فمآرب التبشير إذن ليست بالمآرب النزيهة التي كنا نريد منها استعمال الكلمة فيما هو خير ونافع لكل البشرية ، وإنما هي أهداف دنيئة تسعى إليها من خلال روح عدائية باسم الدين ،

وتسلط رجال الكنيسة أثناء حركة الإصلاح الديني بداية من القرن الخامس عشر ، وعصر التنوير في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، لهما خير شاهد ودليل على ذلك .

وبناءً على هذا فإن التبشير يعمل من خلال محورين لا ثالث لهما : محور هجومي قوامه الطعن في الإسلام ، كتاباً ورسولاً وتاريخاً وسيرة ، وقيماً ومبادئ

ومحور دفاعي : لحمته وسداه حيل بلهاء وألا عيب صبيانية يحاولون من خلالها أن يطلوا السواد بالبياض ، ويلبسوا الباطل ثوب الحق مهما كلفهم هذا من إهدار قيمة النقل والعقل وحقائق الواقع المؤيد بكل دليل له وزن وتقدير) (٢) .

ثانياً : هل ظلت المسيحية على صفائها ؟ أو بمعنى آخر ، هل يمكن للكنيسة أن تقود العالم ؟ وبالتالي تقود أفريقيا ؟ هذه البقعة الكبيرة من العالم ؟

إن الأغراض التبشيرية بالنسبة للعالم جدُّ واسعة ولا حدود لها فالكنيسة تريد أن تسيطر على كل مكان في العالم باسم الدين تارة وباسم العلم والخدمات تارة أخرى ، فهل ظلت المسيحية على صفائها ونقائها حتى يتسنى لها ذلك ؟

---

١ – التبشير العالمي ضد الإسلام أ.د / عبد العظيم المطعني ص (٤) الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، مكتبة النور

٢ – المصدر السابق ص (٤) .

إن القارئ لتاريخ الكنيسة النصرانية يجد أنها على العكس من ذلك ، فالقس في العصور المظلمة قد تدخلوا في كل شيء باسم الدين ، والتسلط الكنسي قد بلغ مداه ، وحاربت الكنيسة العلم ، وجعلت تتخذ من الطقوس الدينية والأوامر والنواهي ، ما لم تأت به المسيحية الصحيحة من قبل ، فضلاً عن الظروف القاسية التي مرت بالمسيحيين ، من عوامل اضطهاد ، وأهواء رجال الدين ووجود فلسفات أثرت في الديانة المسيحية "النصرانية" تأثيراً بالغا .

يقول الدكتور / بركات دويدار : لم تكن المسيحية أسعد حالاً من اليهودية ، فقد كانت الظروف التي مرت بالنصارى أسوأ ظروف مرت بأمة ، واجتمعت عليهم عوامل أفسدت عليهم دينهم وبدلته من دين سماوي يعتمد في أصوله وأحكامه على الوحي – إلى دين وضعي أرضي نبت وغذي من أفكار بشرية وثنية ، أي أنه بدل أن يرتفع بالبشر ويأخذ بيدهم إلى السماء ، نزل هو إلى البشر يأخذ منهم ، وبعد أن كان البشر وثنيين باسم الوثنية ، أصبحوا وثنيين باسم المسيحية ، وأهم العوامل التي انحرفت بهذا الدين هي :

أولاً : الاضطهادات التي نزلت بالمسيحيين ، فأدت إلى ضياع الإنجيل الصحيح .

ثانياً : الوثنيات والفلسفات التي كانت تملأ العالم في ذلك الوقت ....

ثالثاً : أهواء رجال الدين الذين كانوا دائماً يعطون على حساب الدين ليأخذوهم دنيا) (١) .

فهل بعد ذلك يمكن أن يقال إن الكنيسة باسم المسيحية تصلح لقيادة العالم ؟ أو أن النصرانية ديانة صحيحة صالحة ، وداعية لاعتناق العالم لها ، وأن أعمال المبشرين – المنصرين – نزيهة وخالية من الأهداف التي سبق ذكرها ؟

---

١ – الحركة الفكرية ضد الإسلام أ.د / بركات عبد الفتاح دويدار ص (٢١٠) الطبعة الرابعة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م ، دار التراث العربي بالقاهرة .

إن اضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء (كان في عصر انفجر فيه بركان العقلية في أوربا ، وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل التقليد الديني فزيفوا هذه النظريات الجغرافية التي اشتملت عليها هذه الكتب ، وانتقدوها في صراحة وصرامة ، واعتذروا عن عدم اعتقادها والإيمان بها بالغيب ، وأعلنوا اكتشافاتهم العلمية واختباراتهم فقامت قيامة الكنيسة ، وقام رجالها المتصرون بزمام الأمور في أوربا وكفروهم واستحلوا دمائهم ، وأموالهم في سبيل الدين المسيحي ، وأنشأوا محاكم التفتيش التي تعاقبت – كما يقول البابا – أولئك الملحدين ، والزنادقة الذين هم منتشرون في المدن وفي البيوت والأسراب ، والغابات والمغارات والحقول ، فجدت واجتهدت وسهرت على عملها ، واجتهدت أن لا تدع في العالم النصراني عرقاً نابضاً ضد الكنيسة ، وانبثت عيونها في طول البلاد وعرضها ، وأحصت على الناس الأنفاس ، وناقشت عليهم الخواطر حتى يقول عالم نصراني " لا يمكن لرجل أن يكون مسيحياً ويموت حتف أنفه " .

ويقدر أن من عاقبتهم هذه المحاكم يبلغ عددهم ثلمائة ألف ، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفاً أحياء ، كان منهم العالم الطبيعي "برنو" والعالم الشهير "غاليليو" لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس) (١) .

إن من القواعد المسلم بها أن الدين يحث على العلم ويدعوا إليه ما دام ذلك لا يعارض الدين لكن رجال الكنيسة انقضوا على العلماء ، فعملوا على إبادتهم حتى لا ينافسوهم فيما وضعوه على رقاب الناس من تعاليم كنيسية من عندهم باسم الدين (إن كل ما أصاب المسيحية من تشويه يقع وزره على رجال الدين المسيحي ، لقد كان بإمكانهم أن يرفضوا الدخيل ، ولكن للأسف هم الذين قرروه ، يقول القس " بولس الياس اليسوعي " إنه في مفتتح القرن السابع الميلادي كتب البابا " غريغورس " الأول الكبير إلى القديس " أوغسطينوس " أسقف (كنتربري) ببريطانيا يقول :

---

١ – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للأستاذ / أبو الحسن الندوي ص (٢٤٩ ، ٢٥٠) بتصرف يسير طبعة مكتبة السنة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

(دع البريطانيين وعاداتهم ، وأبق لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد ، واضعا إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين) (١) .

إن التعاليم المسيحية في ظل الظروف التي مر بها رجال الدين ، وتغييرهم وتبديلهم لهذه التعاليم ، لا تصلح أبداً ، لأنها بشرية ، وليست بشرية عادية ، بل هي بشرية وثنية مشوهة مشوبة بفلسفات ووثنيات ، فضلاً عن الأهواء والأمزجة التي كانت لدي رجال الدين من فرضهم تعاليم من عند أنفسهم ، وذلك يدعونا إلي القول بأن أعمال المبشرين الآن باسم الدين أو العلم أو الخدمات الأخرى ، في شتي صورها ، لا تصلح أبداً ، فما هي إلا صورة مكررة لما سبق ، واتخذه رجال الدين المسيحي ضد الإنسانية وضد العلم .

ثالثاً : نصيب قارة أفريقيا من المخطط التبشيري :

أريد للقارة الأفريقية – أو هم يريدون لها ذلك – أن تكون على جانب كبير من الجهل والفقر والتخلف والمرض ، وهذه الأربعة من شأنها أن تهون العقيدة في نفوس أصحابها ، بل إنها تصرف ضعاف الإيمان عن دينهم ، وهذا ما يحدث تماماً في أفريقيا بالذات ، ثم إن نشوب الحروب بين دولها ، وتقسيم الدول إلي دويلات ، وانشقاق البعض على الآخر يعد ضعفاً بالغاً في كيان أهل هذه القارة السوداء– كما يقولون أو كما يطلقون عليها .

بل إن المحرك الأول لنشوب هذه الحروب هي الدول الاستعمارية الكبرى التي تقوم بإعداد وتمويل المبشرين ، والتي ترمي من وراء مخططاتها تحويل هذه الدول إلي النصرانية .

يقول فضيلة الشيخ / محمد الغزالي : والخطة الموضوعة لخمسين دولة في أفريقية أن يتقرض الإسلام بتؤدة ودهاء ، وأن يعلن فجاءة أن القارة القديمة

---

١ – الله واحد أم ثالوث نقلاً عن الحركة الفكرية ضد الإسلام ص (٢١٦٥) .

قد ارتدت كلها عن الإسلام ، ونجح الاستعمار في تنصيرها ... فتهب على أفريقية السوداء رياح فتنة عاتية ، تبغي زحزحتها عن عقائدها وحرجة الإسلام عن منزلته الأولىّ ، إلي الثانية ، أو ما وراء ذلك حتى يتلاشى ومعروف أن التبشير العالمي وقّت نهاية هذا القرن لبلوغ غايته ، وأن جيشه الهاجم استطاع التغلغل في أقطار بيضاء ، بعدما اجتاح الجنوب والوسط ، والمعروف أنه لا توجد تقريباً قوي مدافعة ، فليست للأزهر بعثات تقاوم ، وكذلك رابطة العالم الإسلامي والأهالي متروكون لأنفسهم ، وكانت هناك جمعية للدعوة إلي الإسلام تعمل في جنوب السودان ، توقفت عن وظيفتها في أثناء حرب الخليج ، وعلى جماهير المسلمين المعزولين أن يعتمدوا على فطرتهم السليمة ، وقواهم الكليلة في مدافعة العدو الزاحف .

ويواصل فضيلته الكتابة فيقول : وقرأنا أخيراً أن عدد المشتغلين بالتنصير بلغ (١٠٤٠٠٠) موظف ، وأن المعاهد التابعة للكنائس بلغت (٢٠٠٠٠) والجماعات الخاضعة لها (٥٠٠) ومدارس اللاهوت التي تخرج المنصرين الأفارقة (٤٩٠) والمدارس ورياض الأطفال التي تشرف عليها الكنائس (١٠٦٧٧) .

كما بينت إحصاءات منظمة الدعوة الإسلامية أن المستشفيات التي تملكها الكنيسة (١٠٦٠٠) ودور إيواء العجزة والأرامل والأيتام (٦٨٠) والطلاب المسلمون الذين يدرسون في مدارس الكنيسة ستة ملايين ، وعدد الصيدليات التي تملكها (١٠٠٥٠) والمحطات الإذاعية أربع عشرة .

هذا وصف موجز للجيش الذي يعمل الآن لنحت الإسلام ، وتعرية أصوله وفروعه ، وفض مجامعه ، واقتلاع أسسه ، وعلى من يقاوم هذا الجيش ألا

ينتظر عونا من أحد ، فلدي الأمة الكبيرة من الأزمات والآلام ما يشغلها عن نصرة مستضعف أو مواساة محروم) (١) .

ولنا أن نتصور هذا الكم الكبير الذي يعمل ضد الإسلام والمسلمين في هذه القارة من قارات العالم ، إنه اتجاه محموم تحركه قوي استعمارية تخفي أهدافها وجرائرها وراء ستار المبشرين الذين لا يألون جهدا ، ولا يدخرون وسعاً في تنصر المسلمين ، أو زعزعة العقيدة في قلوبهم .

هذا الرقم من المشتغلين بالتنصير وهذه المعاهد التابعة للكنائس ، ومدارس اللاهوت التي تخرج للأفارقة منصرين من نوع خاص ، وهذا الكم من المدارس ورياض الأطفال التي تشرف عليها الكنائس ، وهذه المستشفيات والصيدليات ، ودور إيواء العجزة ، وستة ملايين من الطلاب المسلمين الذين يدرسون في مدارس الكنيسة ، كل ذلك الإنفاق الذي يبذل وبهذه الصورة ، لم يكن لشيء إلا لاقتلاع المسلمين من جذورهم ، وهدمهم ماديا ومعنوياً .

ولنا أيضاً أن نتصور النتائج المترتبة على عمل هذا الكم الضخم ، إنها نتائج مروعة ، تعني في المقام الأول (فصل المسلم عن دينه بطرق شتى ، وجعله يستقبل الحياة الحديثة فارغ القلب من عقيدة عاري السلوك من عبادة وخلق ، شاعرا بوحشة البعد عن الله ووصاياه ، وبذلك يتحول إلي هدف سهل للمنصرين ، إنهم والحالة هذه لم يصطادوا مسلما ، بل استولوا على امرئ شريد لا قلب له ولا مأوي ، وتكوين هذا الشخص هدف أوربة وأمريكة ، وتساعدهما على تحقيقه الحكومات العلمانية ، التي تزعم التسوية بين الأديان ، وهي تركب الصعب والذلول لتوهين الإسلام وآدابه -وشرائعه وقيمة ، ففي نظر هذه

---

١ - صحية تحذير من دعاة التنصير لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الغزالي ص (١٣٦ ، ١٣٧) بتصرف يسير الطبعة الأولي (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م) دار القلم دمشق ، الدار الشامية ببيروت .

الحكومات الإسلام وحده هو الذي لا يجوز الانتماء إليه ، ولا الولاء له ، ولا الحنين إلي استعادة مظاهره في المجتمع والدولة) (١) .

إنه العداء للإسلام وفقط ، إنه الخوف من سلطانه ، إنه العمل على عدم انتشاره واتساعه ، إنها تغطية وتعتيم على التعاليم الكنيسة حتى لا يرتد نصراني عن دينه .

رابعاً : نظره على تاريخ التبشير في أفريقية وأهدافه فيها :

منذ أن دخل الإسلام هذه القارة ، واتسعت رقعته ، والنصارى يتلمظون غيظاً لأن ينالوا من الإسلام فيها ، ويريدون من أهلها أن يكونوا لهم تبعاً ، فلذلك جندوا فريقاً من المبشرين ، قوامه هذه الأعداد الضخمة ، وهذه الإمكانات الهائلة التي سقنا طرفا منها في النقطة السابقة- نصيب قارة أفريقيا من مخطط التبشير .

وتتابع الحملات التبشيرية الصليبية على اختلاف بلادها وبعد حدودها ، وتباين مذاهبها من كوثوليك أو أرثوذكس أو بروتستانت – على هذه القارة يدل دلالة أكيدة على أن مآرب المنصرين في هذه البلاد منذ أن دخلوها مآرب دينية استعمارية بالدرجة الأولي .

يقول المستر – بلس – إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقية ، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا ، لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان ولا من وثنيتهم ، ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية ، وليس خصمنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للاتجار بالرقيق – لأن هذه التجارة صارت صعبة – بل إن هذا الخصم هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في أفريقية أكثر مما هو كذلك في فارس ؛ فالشيخ والدرويش يجوبان شواطئ البحر الأحمر والنيجر ، والمغرب ، ووداي ، ويثبان في الأهالي أن المهدي ينتظر ظهوره وسينشر الإسلام في كل الأقطار ... ، أما الشيخ السنوسي العدو الأكبر للنفوذ الفرنسي والإنكليزي فله تقاليد أخرى .

١ – فضيلة الشيخ محمد الغزالي : صيحة تحذير من دعاة التنصير ص (١٢٦) .

ويقول : إن طلبة الأزهر يعتقدون بالمهدي ، وأما المغاربة فلا يزال يدور في خلدهم إمكان الجهاد ، وهو يري أن الملحمة الكبرى بين أوربا والإسلام ستنشب في غرب أفريقيا أو شماليها ، ولا ينبغي أن نستدل على حقيقة هذه الملحمة المنتظرة بالقتال الذي حدث في السودان (١) .

فهو – أي بلس كغيره يري أن الإسلام هو العقبة الكئود التي تحول دون تقدم التبشير في أفريقيا ، والمسلم في نظره هو العدو الألد لفريق المبشرين ، لأن الإنجيل لا يجد من يعارضه إلا المسلمين فغير المسلم إما جاهل ، وإما وثني وكلاهما لا يعارض الإنجيل أما المسلم فقط هو الذي يعارض نشاط المبشرين .

ويزيد الأمر وضوحاً فيقول (دخل المبشرون الكاثوليك ربوع أفريقية منذ القرن الخامس عشر أثناء الاكتشافات البرتغالية ، وبعد ذلك بكثير أخذت ترد إرساليات التبشير البروتستانتية والإنكليزية والألمانية وكذلك إرساليات التبشير الفرنسية .

ولم تهتم جمعية الكنيسة البروتستانتية بالتبشير في أفريقية الغربية إلا منذ ١٨٠٤ م حيث تعاونت إرساليتها وانكفأت على الكنغو ، وهذه الجمعية تقاتل الآن بمؤازرة الأسقف "صموئيل كروتز" الزنجي – تقاتل سلطة الإسلام المتدفق في النيجر الغربية وفي سنة ١٨١٩ م اتفقت هذه الجمعية مع الأقباط ، وألفت في مصر إرسالية عهدت إليها نشر الإنجيل في أفريقية الشرقية ، وقررت إرسال مبشرين إلي الحبشة ، ولكنها فشلت على أثر المنافسة بين اليسوعيين والبروتستانت ، ثم أخذ المبشرون السويديون والإنكليز يرتادون غرب أفريقية ، وتبعهم مبشروا المدرسة الجامعة ، فهبطوا مدينة "ممباسة" ثم عززت ألمانيا إرسالياتها عقب اتساع مستعمراتها ، لكن سرعان ما ظهرت المنازعات بين الكاثوليك والبروتستانت وكان أهم ذلك في " أوغندة " بين مبشريها الوطنيين

---

١ – الغارة على العالم الإسلامي ل (آل شاتليه ص (١٥) باختصارة لحضها ونقلها إلي العربية الأستاذان : محب الدين الخطيب ومساعد اليافي الطبعة الرابعة المكتبة السلطانية بالقاهرة .

والرهبان البيض الذين ألف إرسالياتهم الكاردينال لافيجري – وبعد ذلك (توافد المبشرون على أفريقية الوسطى عقب بعثة لفنستون – واستانلي – ١٨٧٨ م فاقتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم بين ألماني واسكتلندي وإنجليزي ومورافي ، وهؤلاء انتشرت إرسالياتهم دون انقطاع عن شرق أفريقية إلي أواسطها في الخرطوم والحبشة ... وجاءت هذه الإرساليات بنتائج حسنه) (١) .

فالحركات التبشيرية على بلاد أفريقيا قديمة منذ الاكتشافات البرتغالية لهذه القارة وحتى دخول الكاثوليك لأول مرة في ربوع هذه القارة ، ثم تتابعت إرساليات التبشير البروتستانتي من إنجليزية وألمانية وفرنسية .

ثم ظهر نشاط المبشرين بصورة أكبر بعد ١٨٠٤ م حيث اهتمت جمعية الكنيسة البروتستانتية بالتبشير في أفريقيا الغربية حيث تعاونت إرسالياتها على الكنغو والنيجر بتعاون الأسقف الأفريقي الزنجي – صموئيل كروثر – الذي مهد للوجود البروتستانتي في هذه البلاد .

وجمعية الكنيسة البروتستانتية هذه كان لها نشاط ملحوظ في مصر أيضا في سنة ١٨١٩ م حيث أنفقت مع الأقباط في مصر وألفت في مصر إرسالية عهدت إليها بنشر الإنجيل في أفريقيا الشرقية ، وقررت إرسال مبشرين منها إلي الحبشة ، وإن كان قد فشلت بسبب المنافسة بين اليسوعيين والبروتستانت .

(وأما بلاد المغرب فلها مبشرون مختصون بها ترسلهم جمعية شمال أفريقية وهم منتشرون في المغرب والجزائر وتونس وسائر بلاد المغرب ومنهم المبشرون الأطباء التابعون لهم ، ولقد شاع أن ذوي الأمر في فرنسا وإيطاليا حانقون على رجال التبشير إلا أن حاكم الجزائر طمأن بال الأسقف – هارتزل – في الأيام الأخيرة وصرح له بأنه ينظر إلى أعمال المبشرين ببعض

---

١ – المصدر السابق ص (١٥ ، ١٦) ، وكتاب المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية ج ٢ ص (٢٤٧) ، وما بعدها مقال الدكتور / محمد إبراهيم أبو عجل .

الاستحسان)[١] فإرساليات التبشير وحملاته على أفريقيا ما تركت بلداً إلا وضعته نصب أعينها . ونجد أن حملات التبشير على هذه القارة متنوعة ما بين فرنسية وإنجليزية وألمانية وإيطالية وغيرها ، وأيضاً هي حملات مختلفة المذاهب بين بروتستانتية وكاثوليكية وغيرها ، ولقد كانت المنافسة والسباق بينهم محموما متدفقا للغاية على أهل هذه البلاد ، الأمر الذي يجعلنا نقول إن النشاط التبشيري ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا قصدها وجعل منها مأربا خاصاً به ، وهدفا يسعى إليه .

إن توافد الحملات التنصرية على أفريقية بشكل عام غربها وشرقها وشمالها وجنوبها ووسطها منذ فترة ليست بالقصيرة ، وحتى الآن ، بل الآن يتوافد المنصرون – بضراوة شديدة عن ذي قبل – مما يدل على أن الكيد للإسلام ، وتقسيم هذه القارة إلي دويلات متناحرة – من هؤلاء هو الهدف الأكبر للمستشرقين ، وبتعاون وتنسيق مع المستعمرين .

خامساً : العداء للإسلام قديم :

والعداء للإسلام قديم مستحكم (فالدول الأوربية الموجودة اليوم ما هي إلا امتداد للدولة الرومانية ومن قبلها الدولة اليونانية ، وقد ورثت أوربا الحديثة عن اليونان والرومان عقيدة احتقار الغير ، وأنه يجب أن يطبق عليهم من القوانين ما لا يطبق على الأوربي ، وكانت هذه عقيدة عامة في اليونانيين ، ولا يختص بها واحد دون واحد ، بل نجدها سيطرت على كبار المفكرين فحرمتهم أن ينظروا إلي البشر نظرة المساواة ، فأفلاطون يقصر العدالة على اليونانيين ولا يجعلها تتعداهم إلى غيرهم من بني البشر ويذهب إلي التفرقة بين اليونانيين وغيرهم ، وينصح للمدن اليونانية أن تتعهد فيما بينها العلائق الودية ، بل أن تتحالف ، وتؤلف أسرة واحدة . فإن تحاربت فلا تدمر ولا تحرق ولا يسحق الغالب جميع أهل المدينة المغلوبة كأنهم أعداء ، بل يضرب الأقلية التي أثارت الخصام ، ويعامل الباقي معاملة الأصدقاء ويقصر التدمير ، والتحريق ، والسحق على

---

١ – الغارة على العالم الإسلامي ص (١٦) .

محاربة الأعاجم ، ثم يصرح بأن اليونان "لا يسترق بعضهم بعضا ، وإنما يسترقون الأعاجم ، لأن الرجل العادل لا يسرق قريبه وصديقه ، بل يسترق عدوة) (١) .

وهذه العنصرية القديمة التي نادي بها أفلاطون كانت – وبلا شك لها تأثير كبير على الإسلام من دول أوربا – الوريثة لحضارات اليونان والرومان ، فهي تزاحم الإسلام أينما وجد وحيثما حل .

يقول أحد المفكرين معلقاً على هذا الكره وذلك العداء المستحكم من أفلاطون (هنا نجد أفلاطون عنصريا بكل ما في الكلمة من معني رأفة ورحمة مع بني جنسه ، ومع الغير الحرق والتدمير والسحق ، هل أفلاطون عنصريا في وسط شعب لا يعرف العنصرية ؟

لا يمكن أن يكون هذا بل ورث العنصرية ورضعها من لبن أمه ، فلم يستطع أن يتخلص منها ، وبدل أن يلطفها جعلها شرعاً يجب أن يطاع ، ومن ثم كان لعنصريته تأثير على أحكامه على الشعوب إذا ما تعرض للمقارنة بين شعبه وشعب آخر ، فنجده مثلاً عند المقارنة بين الأثنيين والمصريين يصف الأثينيين بأنهم محبون للمعرفة والمصريين بأنهم محبوب للثروة ، ويرد عليه المؤرخ = ول ديورانت في هذه النقطة بقوله (ولعل في هذا الوصف كثيراً من المغالاة دفعته إليها النعرة الوطنية ....

هذه هي نظرة الأوربي القديم لنفسه ، وكل ما جاء بعد ذلك كان يعمق هذه النظرة ويزيد في الفوارق بين أوربا والإسلام ، فلقد أنضم إلي العامل العنصري العامل الديني ، فأوربا المسيحية التي كانت تنظر إلي الشرق هذه النظرة ، وحدت نفسها أمام الإسلام وجها لوجه ، وقد تعودت أوربا أنها تنتصر في معظم

---

١ – جمهورية أفلاطون ، نقلاً عن تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص (١٠٨) طبعة دار القلم بيروت بدون تاريخ ، جمهورية أفلاطون نقلها إلي العربية حنا خباز طبعة دار التراث بيروت سنة ١٩٦٩ م ، ١٩٣٨ ن .

الحالات ، وحرب الاسكندر لا زالت عنوانا على تفوق أوربا ، فلما جاء الإسلام تغيرت هذه النظرة ، وأصبحت أوربا ترى نفسها مهددة ومهزومة أمام الإسلام ، وكانت الحروب الصليبية كنتيجة لأحقاد استمرت أزمانا طويلة ، ووجدت أوربا نفسها موحدة ضد العالم الإسلامي ، ويمكننا أن نقول – من غير أن نوغل في المبالغة – إن أوربا ولدت من روح الحروب الصليبية) [١] .

وإذا كانت أوربا المسيحية تنظر إلي المسلمين في شتي بقاع الأرض هذه النظرة ، فإن مبشريها بلا شك في أفريقيا بالذات – وفي غيرها – لا يتعلمون من أجل خدمة الإنسانية كما يزعمون ، وإنما يعملون من أجل أهداف دينية واستعمارية كما سبق وأشرت إليه ، وإن العداء الذي يضمره فريق المبشرين مأخوذ عن العنصرية التى أذاعها وبثها أفلاطون من قبل .

سادساً : أوربا تبدأ مدنيتها بعدائها للإسلام .

إن المدنية الزائفة التى تدعيها أوربا وغيرها من الدول الكبرى ، لم تقم على أنقاض أو أسس سليمة ، وإنما قامت على أنقاض المدنية التى دعا إليها أفلاطون وغيره من الفلاسفة والمتمثلة في العنصرية التى سبقت الإشارة إليها .

وهذه المدنية بدأت بعداوة شديدة للإسلام فأثناء الحروب الصليبية ولدت فكرة المدنية الغربية ، وأصبحت هدفاً واحداً تسعي إليه جميع الشعوب الأوربية على السواء وكانت تلك المدنية الغربية عداوة للإسلام.ووقفت عرابا في هذه الولادة الجديدة) [٢] .

ويقول الأمير شكيب أرسلان : هنا نجد أوربا بدأت مدنيتها بعداوة الإسلام ، وأخذت تفكر من يومها لا في الانتصار على الإسلام في معركة حربية ، بل

---

١ – الحركة الفكرية ضد الإسلام مرجع سابق ص (٢٨ ، ٢٩) بتصرف يسير .

٢ – الإسلام على مفترق الطرق للأستاذ / محمد أسد والدكتور / عمر فورخ ص (٥٦) ط دار العلم للملايين سنة ١٩٨٠ م ، وكلمة عرابا تعبير كنسي يقصد به الطفل المعمد .

في القضاء عليه نهائياً ، فنجد مثلاً غليوم دادان يؤلف كتاباً في أربع سنوات بين سنة ١٣١٠ م – ١٣١٤ م يسميه كيفية استئصال المسلمين ، ثم يستمر ذلك العداء حتى اليوم ، فنري العداوة مستمرة ، ومحاولة القضاء على الإسلام لا تنهي ولا تتوقف فالمفكر : ستودارد في تعليقة على حرب أوربا لتركيا يقول : وهذا الذي تتلوا أبناءه في صحف الأخبار اليوم من النضال القائم بين مصطفي كمال ومقاتلة الوطنية ، وبين اليونان في آسيا الصغري ، إنما هو حلقة من سلسلة حروب بين الإسلام والنصرانية ، حلقتها الأولي كانت في فلسطين بين الترك والصليبيين منذ ثمانمائة سنة وحلقتها الأخيرة إلى اليوم) (١)

إن أوربا المسيحية باسم المدنية الزائفة بدأت عدائها للإسلام ، وما تزال حتى الآن تعمل ليل نهار على بث مبشريها في أفريقيا وغيرها لتنال من الإسلام ، وتقضي على المسلمين ، سعيا وراء أهداف استعمارية لاجتلاب خيرات هذه البلاد ، الأمر الذي يجب أن تلتفت إليه وتتكاتف من أجله الدول الإسلامية في وجه هذا الزحف الصليبي الذي يلبس عباءة جديدة ، وما هو عنا بخاف .

وقد يتفائل البعض فيري أن هناك فرصة للتقارب (*) بين المسلمين وأهل هذا العداء ، وأصحاب هذه المدنية ، لكن الأمر في الحقيقة صعب للغاية إن لم يكن مستحيلاً ، وخصوصاً في ظل هذه الهجمة الشرسة من المتنصرين ، فالعنصرية التي ورثتها المسيحية عن العنصرية اليونانية والرومانية – كما سبقت الإشارة إليه ، تجعل من التقارب المزعوم أمراً مستحيلاً ، فضلاً عن أنه لا توجد رابطة أو تجانساً من أي نوع يمكن من خلاله أن يعمل الغرب على التقارب والالتقاء بالمسلمين .

---

١ – حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان ج ١ ص (٢٢١) بتصرف نقله إلي العربية الأستاذ / عجاج نويهض الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣ م – ١٣٩٤ هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

*– وما حوار الحضارات ، والحوار بين الإديان عنا ببعيد .

يقول الأستاذ محمد أسد – وهو مفكر أوربي مسلم – (هنالك بالإضافة إلي فقدان التجانس الروحي . سبب آخر يحمل المسلمين على ألا يقلدوا المدنية الغربية إنه التجارب التاريخية التي اصطبغت صباغا شديداً بعداوة غربية للإسلام ، وهذا أيضاً إلي حد ما إرث أوربة من اليونان والرمان ، إن اليونانيين والرومانيين نظروا إلي أنفسهم على أنهم وحدهم المتمدينون ، أما كل من كان أجنبيا عنهم ، وعلى الأخص أولئك الذين كانوا يعيشون شرق البحر المتوسط ، فقد كان اليونانيون والرومانيون يطلقون عليهم لفظ "البرابرة" ومنذ ذلك الحين والأوربيون يعتقدون أن تفوقهم العنصري على سائر البشر أمر واقع ، ثم إن احتقارهم إلي حد بعيد أو قريب لكل ما ليس أوربياً قد أصبح أحد الميزات البارزة في المدنية الغربية على أن هذا وحده لا يكفي لإظهار ما يكنه الأوربيون نحو الإسلام خاصة ، وهنا لا تجد موقف الأوربي موقف كره في غير مبالاة فحسب بل هو كره عميق الجذور يقوم في الأكثر على صدود من التعصب الشديد ، وهو أيضاً ليس كرها عقلياً فحسب بل إنه يصطبغ بصبغة – عاطفية قوية) (١)

فهل ينتظر بعد هذه العنصرية الشديدة من كونهم وحدهم المتمدينون ، وغيرهم برابرة ، وهل بعد احتقارهم للغير يمكن أن يوجد لقاء أو تقارب بين المسلمين وهؤلاء الصليبيين ؟ إن ذلك بعيد جداً ، وصعب المنال (لأن هذا الاحتقار لم يكن سلبيا ، بل كان إيجابياً إذ نري أوربا تربي أولادها على محاربة الغير وخاصة المسلمين ، ففي القرون الوسطي كان الاقطاع وكانت الفروسية ، وكان للفروسية قوانين عشرة يجب على الفارس إتباعها ، والقانون السادس منها ينص على أن يحارب غير المسيحيين بغير مهادنة ولا هوادة ، ومعظم المواقع الشهيرة التي ذكرت في كتاب – أغاني البطولة – كانت في محاربة المسلمين ، وقد أضاف الأوربي إلي رصيد العداوة أمرا آخر وهو التغني بحرب المسلمين ، فيشب الطفل فيسمع أنباء البطولة من بني جنسه وضد من ؟ ضد المسلمين ، فلم يعد موقف الأوربي من المسلمين موقف كره من غير مبالاة – بل كره يتبعه

---

١ – الإسلام على مفترق الطرق : مرجع سابق ص (٥٢ ، ٥٣) بتصرف يسير .

حروب ، وتأصلت العداوة حتى أصبحت أغنية شعبية تردد ، وتأصلت البغضاء ونمت مع تقدم الزمن ، ثم استحالت عادة تعمق الشعور الشعبي في أوربا كلما ذكرت كلمة مسلم .. إن تجدد الموقف العدائي للمسلمين من أوربا هو هو حتى من عادي المسيحية نفسها بقي محافظاً على عداءة للمسلمين ، ونسأل : إذا كان عداء أوربا للمسلمين دينيا ثم ذهب التمسك بالدين في أوربا فلما ذا بقي العداء ؟ والجواب أن العداء لم يكن دينيا فحسب كما تقدم ، بل هو عداء عنصري من أيام اليونان) (١) .

وفي ظل هذه النزعة ، وهذه الروح يُرَبىّ المبشرون ويعدون إعداد خاصاً ، ثم ينطلقون إلى أفريقيا – وغيرها – من بلاد الإسلام ، لا مبشرين فحسب ، بل مبشرين ومستعمرين ، متأصلة فيهم روح العداء والكره الشديد للمسلمين في شتي بقاع الأرض .

سابعاً : توجه المبشرين نحو أفريقيا خاصة :

استهدف المبشرون أفريقيا بالذات نظر لفقرها المادي والثقافي ، والتخلف الذي تعيشه ، والذي فرض عليها ، كما سبقت الإشارة إليه في نقطة : نصيب القارة من مخطط التبشير .

وبشيء من التفصيل عن بعض الدول القارة وتوجهات المبشرين – المنصرين – نحوها نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

١ – أعمال التبشير في مصر :

ونظراً للأهمية المكانية والعملية لمصر ، إذ هي الدولة الاكبر عدداً ، إلي جانب أن بها الأزهر الشريف وأن تميزها من ناحية الموقع يجعل لها من التفرد عن غيرها من دول القارة فهي البوابة الرئيسة للقارة من جهة الشمال الشرقي ، كما تطل على البحر المتوسط من ناحية الشمال والأحمر من ناحية الشرق ، كل

---

١ – الحركة الفكرية ضد الإسلام ص (٣٣ ، ٣٤) بتصرف .

ذلك إلي جانب ما تذخر به هذه الدولة من مقومات بشرية وإمكانات مختلفة ، نظراً لكل هذا فلقد ركز التبشير تركيزاً شديدا على مصر بعد الحرب العالمية الأولي لأمرين.

الأول: إن مصر هي مركز الثقل في العالم العربي كله ، وكل ما يثار فيها من تيارات إنما يكون عاملاً هاماً للتأثير على مختلف الأجزاء .

الثاني : أن مرحلة العمل الأولي في مصر قبل الحرب عن طريق الارساليات التبشيرية الأولي قد أتت أكلها وبخاصة عن طريق الصحافة التى أبرز ألمع نحومها الصحفيين الغربيّ النزعة خريجي هذه الكليات من زيدان إلي صروف إلي فرح أنطون إلي سركيس إلي شبلي شميل بالإضافة إلي الصحفيين الذين عملوا في فرنسا وبريطانيا ، وقد تركز العمل في هذه المرحلة على عدة مراكز هامه هي :

١ – الصحافة ٢ – الجمعيات الأدبية ٣ – الجامعة المصرية ٤ – مدارس الارساليات ٥ – المدارس المصرية الخاصة البرامج "كرومر ودنلوب" (١) .

فتوجهات المبشرين نحو مصر واتخاذهم منها مراكز للعمل ينطلقون منها ، وخصوصاً الجامعة المصرية ، والصحافة ، والجمعيات الأدبية ، والمدارس الخاضعة لهم ، لم يكن وليد الصدفة – إن صح التعبير فليس في الإسلام صدفة – إنما هي توجهات معدة إعداداً منظما منبعثا من الروح الصليبية التى تريد هدم الكيان الإسلامي وإحلال المسيحية محله .

كما أن الأغراض الاستعمارية قد عمل المبشرين أيضاً من أجلها فالتبشير خادم وحارس أمين لأغراض الاستعمار في مصر كما في غيرها ، فنشر المسيحية ، واستعمار البلاد غرضان أساسيان من أغراض التبشير في مصر .

---

١ – التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة للأستاذ / أنور الجندي ج ٥ ص (٢٠ ، ٢١) طبعة دار الانصار للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ .

٢ – التبشير في شمال أفريقيا :

يقصد بشمال أفريقيا من الناحية الجغرافية (أنها بلاد المغرب والجزائر ، وتونس وليبيا أيضاً وتعرف هذه الأقطار بولايات البربر – نسبة إلي سكان البربر الأصليين ، كما تعرف أيضاً بالمغرب "الكلمة العربية التى تعني غرب" (١)

وأعمال المنصرين في هذه الأقطار تتضح من خلال الملامح والمميزات واحتياجات الكنيسة في شمال أفريقيا .

يقول كريكوري لفنكستون : إن الكثير من النصارى هم إما مراهقون أو شباب غير متزوجين ، وفي بعض المناطق تكون غالبيتهم من الفتيات أو النساء المسنات ، وكثير منهم ينتمون إلي الطبقة الوسطي وهم يعملون بالإضافة إلي أنهم مثقفون .. إن الكنيسة بحاجة مستمرة إلي عائلات نصرانية ، وإن مجموعات العبادة ليس لها بنية واضحة أو طقوس دينية فالنصارى اعتادوا على تلقي دروس موضوعية من الكتاب المقدس يسعون من خلالها للإجابة على أسئلة بعضهم بعضاً .. ومجموعات العبادة هذه تلتف حول المنصرين وتتأثر بهم إلي درجة كبيرة ، ويتفاوت الشعور نحو هؤلاء المنصرين ما بين الإعجاب بهم والاستياء منهم فالنصارى المحليون لا يريدون أن يتحكم فيهم المنصرون ولكنهم في ذات الوقت يشتكون من الإهمال ، وكثيرون منهم يأملون في أن يقوم المنصر بترتيب أمورهم حتى يتمكنوا من الدراسة في الخارج أو يساعدهم مادياً ، كما يجد المنصرون أنفسهم في كثير من الأحيان عاجزين عن تقرير الخطوات التى تكون مفضلة ، ومفيدة على المدي البعيد) (٢) .

---

١ – التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بولاية كولارادو في الولايات المتحدة الأمريكية ص (٣٥١) .

٢ – المصدر السابق ص (٣٥٨) بتصرف .

هذا عن المتنصرين النصارى في هذه البلاد وإذا كانت الكنيسة بحاجة إلي عائلات نصرانية فإنه ينذر بالخطر في هذه الأقطار ، والمسلمون لا يفيقون من رقادهم .

إن الحركة التبشيرية والمؤتمرات التبشيرية تولي وجهها نحو هذه الأقطار فلقد (بدأت حركة التبشير في المغرب – مراكش – بالدعوة إلي الفصل بين العرب والبربر وهما مسلمين ، وذلك بإنشاء أنظمة خاصة ومعاهد ومحاكم تفصلهم عن الشريعة الإسلامية ومعاهد القرآن مع إلغاء تعليم اللغة العربية .. وكان أخطر ما وجهته الحركة التبشيرية إلي شمال أفريقيا هو عقد المؤتمر الأفخارستي التبشيري في تونس الذي عقد في قرطاجنة عام ١٩٣١ م وقال عنه أسقف قرطاجنة إنه حملة صليبية ، وقال المؤتمرون إن الدافع لهم على عقد هذا المؤتمر هو تحقيق الفكرة التي كانت تدور بين جنبي لويس التاسع والتي حملها بعده الكردينال لافيجري ، وليست هذه الفكرة سوي ما كان يقصده لويس التاسع من حملاته الصليبية على هذه الديار ، كما أوصي المؤتمر فرنسا بتعميم التبشير وذلك لتوحد عقيدة شمال أفريقيا ، وفي تونس ظهرت فكرة تجنيس السكان بالجنسية الفرنسية وتقديم الإغراءات والتهديدات لتحقيق ذلك الغرض ، وكان الهدف أن لا يحتكم السكان إلي شريعة الإسلام ، بل يحتكمون إلي القانون المدني الفرنسي وإدماج أهل تونس في الجنسية الفرنسية وسلخهم من عروبتهم ودينهم الإسلامي) (١) .

وهذا الضغط وحمل السكان المسلمين في هذه الأقطار على قبول النصرانية أمر لا يغفل عنه المنصرون في أفريقيا على اختلاف جنسياتهم ، وقد أثمر ذلك أحياناً ، فإن هنالك أعداد قليلة جداً من عوائل شمال أفريقيا تم فيها تنصير الزوج والزوجة معاً ... هذا وقد تنافست الإرساليات التنصرية على احتواء وكسب المتنصرين المسلمين القلائل من شمال أفريقيا والذين لديهم إمكانية لتولي مناصب دائمة في الكنيسة المحلية ، فقد أصبحت العقلية السائدة في

---

١ – التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ج ٥ ص (٢٤) بتصرف .

المغرب حالياً هو " أنه لكي يخدم الإنسان الرب كل وقته عليه العمل خارج بلاده مع إحدى إرساليات التنصير الأجنبية) (١) .

إنه عمل يندي له الجبين حيث يتحول المسلم إلي نصراني ولم يكتفوا بهذا، بل يجعلون منه منصرا داخل بلاده أو خارجها ، وهذا الذي اعتنق النصرانية ، وأصبح منصرا بالفعل تكون جهوده في القيام بأعمال التنصر أقوي من غيره .

منصرون بوظائفهم :

وفي شمال أفريقيا أيضاً نجد أن هناك فئة ضالة مضلة ، وهم وإن كانوا منصرين غير رسميين إلا أنهم في الحقيقة منصرون بالوظيفة وهم قوة فاعلة في هذا المجال .

فلقد (قدم مايكل كريفيشس في كتابه – دع طموحاتك الصغيرة – تلخيصاً جيداً لتلك النتائج المغمورة للموظفين المدنيين من غير المنصرين الذين يسعون إلي استخدام أعمالهم كوسيلة للتغلغل في سبيل تنصير القطر كله ، ومثل هؤلاء الأشخاص إما أنهم لا يتكلمون اللغة العربية أو أن الذين لديهم يحتاجون لخدماتهم بدرجة تستوعب كل وقتهم ، والعقبة الأكبر بالنسبة لهؤلاء الموظفين المدنيين في شمال أفريقيا هي خوفهم الشديد من أن الدعوة المكشوفة تعرض وظائفهم أو شركاتهم للخطر ، إنة من غير المؤكد أن الوظائف المدنية تشكل استراتيجية فعالة للتنصر في شمال أفريقيا ، وإن الشخص الأكثر فعالية هو ذلك الشخص الذي يوجد لدية أناس كثيرون يصلون من أجله لأنه ينتمي إلي جمعية تنصيرية ومسئولياته الأساسية هي كسب اتباع وزرع الكنائس ، إن عمله هو مجرد وسيلة لإقامة صداقة مع سكان شمال أفريقيا ، وهؤلاء الأشخاص لهم نفس امتيازات الأشخاص غير المنتمين إلي الجمعيات التنصرية من حيث الاتصال العادي بالمسلمين ولأنهم مدعومون من الخارج يمكنهم تخصيص ساعات عملهم

---

١ – التنصير ص (٣٥٨ ، ٣٥٩) بتصرف .

وتقليصها إلى عشرين ساعة فقط في الأسبوع ، وهكذا يستطيعون توفير وقت كاف لاستخدامه في إقامة الصداقات وكسب الاتباع) (١)

وهؤلاء وإن كانوا يعملون كمنصرين عن طريق وظائفهم إلا أن نشاطهم في الحقيقة لا يكل ولا يمل في سبيل استقطاب أعداد كبيرة من سكان شمال أفريقيا ، وذلك بوسائل الضغط عليهم ، حيث إن الناس يحتاجون لهم في وظائفهم سواء أكانوا ممن يطببون آلامهم أو ممن يقومون لهم بخدمات اجتماعية أخرى .

إن الوجه القبيح لهؤلاء المنصرين يعلن عن نفسه حينما يجد نفسه في موقع يحتاج الناس إليه فيه ، وبهذا تختلط معظم أعمالهم التي يقومون بها بأعمال المبشرين ، وهم بالفعل آداة فعالة في ذلك الميدان ، وخصوصاً في كل دول أفريقيا حيث الحاجة الماسة إلى ذلك .

٣– أعمال المبشرين في وسط أفريقيا :

وأعمال المبشرين في قلب ، أو في وسط أفريقيا لا يقل ضراوة وخطراً عن أعمالهم في شمالها أو شرقها ، بل إن الحملات التبشيرية على أهل هذه البلاد تعتبر أشد وأعتي من غيرها ، فلقد امتزج التبشير بالاستعمار في أحايين كثيرة ، وكون التبشير يعمل مع الاستعمار جنبا إلى جنب فإن ذلك يعد أشرس الهجمات ضد الإسلام والمسلمين .

يقول الأستاذ أنور الجندي : زحف الاستعمار منذ منتصف القرن الخامس عشر إلى أفريقيا ، وكان أوائل الرواد الغربيين مبشرين من أمثال ولفنسون وستانلي وغيرهم من الذين فتحوا الطريق أمام هذه البعثات ، وكانوا يعلنون عن

---

١ – التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص (٣٦١) ولمزيد من الإيضاح ينظر كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص (٥٨ ، ٦٥ ، ١١٣ ، ١٩١) حيث عقد المؤلفان الدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ فصولاً مطولة في هذا المضمار طبعة سنة ١٩٨٣ م منشورات المكتبة العصرية – صيدا – بيروت .

خطط تقدمهم إلي قلب أفريقيا باسم التبشير ويرون أن كلمة الفتح إنما تعني خضوع أفريقيا وأهلها للإرساليات ، وقد كانت شرق أفريقيا وغربها ووسطها مجالاً للصراع والمنافسة لمختلف البعثات التبشيرية الكاثوليكية واليسوعية والبروتستانتية السويدية منها والإنجليزية والألمانية وتعد الإرساليات البريطانية أضخم هذه البعثات وما ينفقه الإنجليز يقدر بثلثي نفقات الإرساليات) (١) .

أرأيت إلي تعدد هذه الغارات التبشيرية والاستعمارية على قلب القارة السمراء ، وهذا الانفاق الضخم الذي تنفقة هذه البعثات والإرساليات التبشيرية في وسط القارة ما هو إلا أداة فاعلة لكسب أنصار ، وتنصير مسلمين ، وهم يسلكون في سبيل ذلك طرق وحيل شتي كلها غير شرعية (وللتعرف على بعض الأنشطة غير الشرعية لهذه الإرساليات يتحتم علينا الإشارة إلي أدوار – واحدة منها – ولتكن مثلاً الإرسالية الألمانية في – لامو – بشيء من التفصيل:–

– المبشرون الألمان في لامو يزودون عملاء ألمانيا ومنهم دينهارت كوستاف بالمعلومات عن المواطنين والوطن .

– يستميلون أبناء لامو ويشجعونهم من وراء أهليهم على الالتحاق بمدرسة الإرسالية .

– ينسخون الكتيبات السواحلية في موضوعات دينية مسيحية مضادة للإسلام ، ويوزعونها على من يلتحق بمدرستهم ويحاولون تنصيرهم ، ولكن بدون جدوي .

---

١ – التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ج ٥ ص (٢٥) .

- ثبت لدينا بالوثائق التاريخية والدلائل الدامغة أن هذه الإرسالية كانت تحمي من يتمرد على نظام وقيم المجتمع الإسلامي في - لامو - وتبرئ من يرتكب منهم جرائم يعاقب عليها القانون) ( ) .

إن الوجه الكالح لهذه الإرساليات وتلكم الحملات لا يهمه أن تكون الوسيلة التي يسلكها غير شرعية فمآربة استعمارية صليبية بالدرجة الأولى وإذا لم تستح فاصنع ما شئت .

ثامناً : النتائج المترتبة على أعمال المبشرين في أفريقيا :

إن النتائج المترتبة على هذه المجهودات جد خطيرة ، وفي كثير من الأحيان كسبت هذه الإرساليات ، وتلكم البعثات بعض من ضعفاف الإيمان ، ومن خلال النماذج الثلاثة التي سقنا طرفاً من أعمال المبشرين فيها ، وهي مصر ، بلاد المغرب(وشمال أفريقيا) وقلب أفريقيا نستطيع القول بأن (العداء الغربي المسيحي للإسلام والمسلمين قديم ، وبخاصة في أفريقيا السمراء ، فجحافل الاستعمار الأسود ، قد هجمت على أفريقيا واستذلت أهلها ، واليوم يتقدم التنصر جحافل الاستعمار ، لا لاستعمار القارة وفقط ، بل لمحاولة زعزعة عقيدتها الإسلامية ، إذ أن أغلب سكان هذه القارة مسلمون ، ومن يطلع على أسماء دول منظمة المؤتمر الإسلامي يجد أن أغلب هذه الدول من أفريقيا وعلى سبيل المثال : الكاميرون ، أثيوبيا ، جيبوتي ، الجابون ، غينيا ، فولتا العليا ، بيساو ، مالي ، النيجر ، تنزانيا ، تشاد ، السنغال ، سيراليون ، أوغندا ، فضلاً عن الدول العربية الأفريقية كمصر والسودان ، وليبيا ، والصومال ، وتونس ،

---

١ - كتاب المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية ج ٢ ص (٢٥٤) مقال الدكتور / محمد إبراهيم محمد العجل بعنوان : نظرات في جهود التبشير في شرق القارة الأفريقية .

الجزائر ، المغرب ، وموريتانيا ، وفضلاً عن الأقليات الإسلامية المتنامية يوما بعد يوم في هذه القارة) (١) .

ونستنتج أيضاً أن أعمال المبشرين التي يقدمونها لأهالي الأقطار الأفريقية باسم المساعدات الإنسانية والتي يقدمونها بطرق وحجج واهية ، أنه لابد من العمل على تعريتها ، وإماطة اللثام عنها ، وكشف سترها ، لأن هذه الأعمال التي يقدمونها ما هي إلا محاولة (للتشويش على المسلمين ، وقيمهم أو على الأقل وقف المد الإسلامي المتزايد في القارة وغرس بذور التفرقة والعنصرية بين أبناء القارة الواحدة ، ومن ذلك قولتهم المشئومة إن شمال القارة يختلف عن جنوبها وشرقها يختلف عن غربها ، وقلب القارة يختلف عن كل ذلك ، والناطقون بالفرنسية غير الناطق بالإنجليزية ، والمسلمون يختلفون عن غير المسلمين ... والويل كل الويل للذين يفكرون في اعتزازهم بالإسلام واللغة العربية والاكتفاء الذاتي من خيرات القارة والوحدة السياسية والاقتصادية والثقافية ، ويقود كل ذلك حملات تنصرية مرعبة ومعدة إعداداً دقيقاً حتى قال قائلهم " مبشر لكل أفريقي " ولك أن تعرف أن عدد الجمعيات التنصرية في بلد واحد مثل دولة تشاد أكثر من ١٤٩ جمعية تنصرية ذات نفوذ قوي) (٢) .

هذا الاهتمام اللا محدود نحو هذه القارة لاجتذاب خيراتها وتنصير أهلها ، والعمل الدائب على ضياع دينهم ولغتهم وثقافتهم ، يعمل عليه فريق المبشرين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وتوجهاتهم في دأب وحرص شديدين ، وبروح صليبية محمومة يعوزها الانصاف ، إن كانوا يريدون للقارة الفقيرة – على حد زعمهم – خدمات كما يدعون .

---

١ – المسلمون في جزر القمر أ / محمد رمزي فواز ص (٤٣) وهامشها بتصرف يسير

٢ – جريدة العالم الإسلامي الأسبوعية ص (٥) في عددها الصادر يوم الاثنين ١١ جمادي الأول سنة ١٤١٧ هـ – ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٩٦ م .

فالنتيجة الكبرى المترتبة على أعمال المبشرين في هذه القارة ضياع هوية المسلمين ، دينهم ، ولغتهم ، وثقافتهم ، واجتذاب خيراتهم ، وتمييع كل ما يؤصل لديهم روح الاعتصام والوحدة ، وويل لهم إن أرادوا لأنفسهم استقلالية من أي نوع.

تاسعاً : حال المسلمين اليوم في أفريقيا :

إن نظرة على أحوال المسلمين اليوم في أفريقيا تطلعنا على الصورة الصحيحة لأبناء هذه القارة ، وما هم عليه من وهن ومشاكل كثيرة أدت إلي سبب تأخرهم (فالمسلمون في قارة أفريقيا يعانون من مشاكل معقدة أدت إلي انحطاطهم وقعدت بهم عن ممارسة دورهم في نشر الدعوة الإسلامية في مجتمعاتهم ، فضلاً عن تقديمها لجيرانهم من الوثنيين ، وأهم ما يعانيه المسلمون الأفارقة ما يلي :

أولاً : يعاني المسلمون الأفارقة من الوهن العام الذي تتبدى مظاهره في عدم مقدرتهم على المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية في بلادهم شاءوا أم أبوا ، فبلد مثل السنغال تبلغ نسبة المسلمين فيه ٩٧ % كانت تدار إلي عهد قريب بواسطة رئيس مسيحي ، وبلد مثل أثيوبيا تفوق نسبة المسلمين فيه ٥٠ % على أقل تقدير نجد معظم الوظائف الإدارية من المسيحيين ولا يوجد وزير مسلم واحد في حكومتها ، وكينيا نسبة المسلمين فيها ٣٠ % لم يحظ مسلم واحد بوظيفة وزارية .

ثانياً : يعاني المسلمون من الجهل والفقر الذي تتجلي مظاهرة في عدم تأهيلهم للحياة العامة نتيجة لاحتكار المؤسسات التنصرية للتعليم ، الأمر الذي جعل المسلمين يعزفون عنه ، فأورثهم ذلك جهلاً وبعداً عن دفة الحياة الحديثة ، وفي ذات الوقت أتاح لغيرهم التحكم في مصائرهم .

ثالثاً : يعاني المسلمون الأفارقة من مشكلة الذوبان الثقافي في المجتمعات من حولهم وضياع هويتهم الثقافية ، فأصبحوا ينظرون إلى الحياة بنظرة هذه المجتمعات ويستحلون ما يستحله غيرهم .

رابعاً : يعانون أيضاً من الفرقة والشتات وانقسامهم إلى طوائف وشيع ، فالمجتمع الأفريقي مجتمع قبلي يجعل الكثير من المسلمين يوالون قبائلهم أكثر من ولائهم لدينهم .

خامساً : كما تعاني المجتمعات الإسلامية في هذه القارة من ضعف اتصالها ببقية أجزاء العالم الإسلامي نتيجة العزلة التى ضربها الاستعمار وأخذت بها الحكومات التي أعقبته بالحد من حرية الحج الذي يهيء أسباب الاتصال بالعالم الخارجي والالتقاء ببقية المسلمين) (١) .

هذه القيود وتلكم العوامل التى تفرضها المجتمعات الغربية الاستعمارية على هذه البلاد من شأنها أن تقوض حركاتهم ، وتكون سببا مباشراً في تأخرهم عن ركب الحياة في كل الميادين ، ولا سيما الميادين الدينية والاجتماعية بالذات

يقول الأمير شكيب أرسلان (فمن أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل الذي يجعل فيهم من لا يميز بين الخمر والخل ، فيتقبل السفسطة قضية مسلمة ، ولا يعرف أن يرد عليها ، ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين العلم الناقص ، الذي هو أشد خطراً من الجهل البسيط ، لأن الجاهل إذا قيض الله له مرشدا عالما

---

١ - كتاب المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية ج ٢ ص (٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣) بتصرف شديد - مقال المشير عبد الرحمن سوار الذهب رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية ، بعنوان : أوضاع الأقليات المسلمة في القارة الأفريقية وينظر أيضاً التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص (٣٥٤ ، ٣٥٥) .

أطاعه ... ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين أيضاً فساد الأخلاق بفقد الفضائل التي حث عليها القرآن ، والعزائم التي حمل عليها سلف الأمة) (١) .

وإذا نظرنا إلى توجهات المبشرين والمستعمرين نحو هذه القارة ، نجد أنها توجهات تعمل على إحياء وإذكاء وتنمية كل هذه العوامل بغية تخلف أبناء هذه القارة ، حتى يتسنى لهم ما يريدون منهم من تبعية وجهل ، وبالفعل فقد صارت دول كثيرة من دول هذه القارة في ركاب المبشرين والمستعمرين .

الوضع الراهن للمسلمين في أفريقيا يزداد خطراً :

إن حال المسلمين الراهن في أفريقيا كحال المسلمين في كل دول العالم ، بل أشد خطراً وأعظم ضرراً ، فالخريطة الاستعمارية تقسمهم ، وتعمل على تنصيرهم ، أو مسخهم ، وجعلهم بلا عقيدة إن لم يدخلوا في النصرانية ، بل إنَّ دول أفريقيا لفقرها وفقدانها لكثير من مقومات الحياة ، وتخلفها في النواحي العلمية والسياسية والعسكرية والاجتماعية ، كل ذلك مما يجعل الشعوب الأفريقية لقمة سائغة لأعمال المنصرين على اختلاف مذاهبهم وبلادهم .

إن ما تعانيه شعوب أفريقية من حروب طاحنة وتخلف اقتصادي واجتماعي وسياسي وعسكري ، وما خلفته الدول الأوربية التي استعمرتها لفترات طويلة ، جعلت الوضع الراهن لمسلمي القارة على ما هو عليه الآن ، الأمر الذي يدعونا إلى أن نتوجه لأنفسنا بهذا السؤال وهو :

كيف نواجه هذا الخطر ؟ والإجابة عليه فيما يأتي ، وهو طريق العلاج .

---

١ - لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم للأمير شكيب أرسلان ص (٧١ ، ٧٢) باختصار الطبعة الأولى ، دار الكلمة الطيبة سنة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

عاشراً : طريق العلاج :

وللإجابة على السؤال تتطلب السابق : وهو كيف نواجه خطر النشاط التبشيري على أفريقيا ، أو ما هو طريق العلاج ؟

إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب منا أن نكون جادين ، وأن نكون على مستوي المسئولية المنوطة بنا ، والتي كلفنا الله – تبارك وتعالي بها في قوله سبحانه : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾** (١)

وقوله عز وجل : **﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾** (٢) ونصر الله عز وجل – يكون بنصر دينة ، والعمل على نشره ، وتوصيله إلي ربوع الدنيا .

وأما الإعداد الذي أمرنا به في قوله تعالي : **﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾** فهو إعداد يشمل كل وسيلة يتوصل بها إلي التصدي لأعداء الله – تعالي – ولأمر ما قال الله – عز وجل – " **مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** " وإذا ما انطلق العمل الإسلامي من أرض خصبة مزودة بمثقفين ثقافة إسلامية واعية وواسعة ، وجمهور ملتزم بالإسلام التزاماً صادقاً ، استطاع هذا العمل أن يقف في وجه هذا الزحف الصليبي ، ويكسر شوكته ، وبالتالي تصبح القوة الإسلامية ، قوة ضارية يعمل لها ألف حساب وحساب ، وفي النص الكريم ما يفيد ذلك .

يقول الأستاذ / سيد قطب عند تفسيره لهذه الآية "وَأَعِدُّواْ لَهُم" – (والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها ، ويخص " رِّبَاطِ الْخَيْلِ " لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة ....

---

١ – الآية رقم (٧) من سورة محمد .

٢ – من الآية رقم (٦٠) من سورة الأنفال .

ويواصل حديثه فيقول : (إنه لابد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان ، وأول ما تصفه هذه القوة في حقل الدعوة ، أن تؤمن من الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها .

والأمر الثاني : أن ترهب أعداء هذا الدين ، فلا يفكروا في الاعتداء على " دار الإسلام " .

الأمر الثالث : أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه هذا المد الإسلامي .

والأمر الرابع : أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية) (١) .

الطريق لهذا العلاج في نظر بعض المفكرين :

وأسوق هنا طرفا من وجهة نظر بعض المفكرين ، وذلك لعلاج الأمة وصحوتها من كبوتها ، حتى تتصدي لهذه الهجمة الجبارة التى تعمل ضد المسلمين ، في أفريقيا وفي غيرها .

١ – عند الدكتور : المطعني .

يري الدكتور / عبد العظيم المطعني (أن المواجهة تتطلب منا اتخاذ الخطوات الأتية :–

أولاً : إنشاء مركز إسلامي عالمي ، تسهم في تمويلة كل الدول الإسلامية ، وتكون مهمته ،

---

١ – في ظلال القرآن ج ٣ ص (١٥٤٣) باختصار الطبعة الثالثة عشرة ١٩٨٧ م – ١٤٠٧ هـ – دار الشروق .

١ – متابعة ما يكتبه المبشرون والمستشرقون عن الإسلام في كل مكان ، ثم ترجمة أعمالهم للغات الإسلامية مع تفنيد شبهاتهم والرد عليها وإظهار زيفها .

٢ – ترجمة ما يمكن من الكتب الإسلامية إلى اللغات الحية ، وتسويقها عالمياً ، على أن تكون هذه الكتب مما يحتاج إليه المثقف العصري مما لها صلة بالفكر العالمي ، ويعمل بهذا المراكز نخبة ممتازة من صفوة المفكرين الإسلاميين المشهود لهم بالإخلاص في مجال الدعوة) (١)

وفي رأيي أن إنشاء مثل هذا المركز يسهم بدور كبير في الرد على المبشرين وتفنيد كلامهم ، فمقارعة الحجة بالحجة والفكر بالفكر لابد منه حتى تقام عليهم الحجة ويسطع البرهان ويظهر زيفهم وضلالهم .

ثانياً : العمل على تعليم اللغة العربية لغير العرب ، ووضع خطة مدروسة جيداً للقيام بهذا الدور البالغ الأهمية حتى نتيح الفرصة للمسلم غير العربي أن يطلع على المؤلفات الإسلامية فتحصل له مناعة وحصانة ضد الفكر المضاد) (٢)

وإذا كان تعلم اللغة العربية يعطي المسلم حصانة ومناعة ضد الأفكار المسمومة ، فإن تعلمها على جانب عظيم أيضاً من الدين بالضرورة فإن العبادة في الإسلام تكون بها ، والقرآن الكريم عربي والرسول (ﷺ) عربي ، ولم ينزل وحي إلا بالعربية ، وحديث أهل الجنة بالعربية ، ولقد ألف الإمام الحافظ زين العابدين عبد الرحيم بن الحسين المتوفي سنة ٨٠٥ هـ مصنفاً أسماه " القرب في فضل العرب " وقسمه أبواباً وعنون هذه الأبواب بعناوين تحمل في ثناياها فضل العرب وفضل اللغة العربية ، ونزول الوحي بالعربية ، فعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله (ﷺ) – والذي نفس بيده ما أنزل الله – عز وجل – وحياً قط على نبي من الأنبياء إلا بالعربية ثم

---

١ – التبشير العالمي ضد الإسلام ص (٧٦ ، ٧٧) بتصرف يسير .

٢ – التبشير العالمي ضد الإسلام ص (٧٦ ، ٧٧) بتصرف يسير .

يكون النبي بعد يبلغ قومه بلسانهم " رواه الطبري في المعجم الأوسط وقال حديث حسن صحيح ورجاله كلهم ثقات) (١) .

ثالثاً : إنشاء مدارس ومعاهد إسلامية في عواصم دول العالم الكبرى لرعاية أبناء المسلمين فيها وربطهم بدينهم ولغتهم وتاريخ أمتهم وأوطانهم ، على غرار المدارس والمعاهد التي تنشئها بعض الدول الأوربية في بلاد المسلمين .

رابعاً : رعاية المبعوثين المسلمين إلي جامعات الغرب لحمايتهم من الفكر المضاد فقد ثبت يقيناً أن الفكر المضاد يجند أكثر عملائه من هؤلاء المبعوثين) (٢).

وإنشاء مثل هذه المدارس ، ورعاية هؤلاء المبعوثين لهما أعظم الأثر في حماية أبناء المسلمين في الفكر الغربي ومن التيارات التي تعصف بعقولهم وبعدهم عن دينهم الحنيف .

خامساً : إنشاء أقسام علمية بالجامعات الإسلامية لدراسة الفكر المضاد وأهدافه ووسائله ومواجهته .

سادساً : إحكام الرقابة والإشراف الكامل على دور التعليم في البلاد الإسلامية ، فقد ثبت يقيناً تورط هذا التعليم في ممارسات تبشيرية ضد الإسلام بين صغار السن وتربيتهم على الولاء لغير دينهم .

سابعاً : إعادة سهم المؤلفة قلوبهم من مصارف الزكاة والاستفادة من المتحصل منه في الإنفاق على من يسلم ويضار في مصادر رزقه .

---

١ - عن كتاب القرب في فضل العرب للإمام الحافظ زين العابدين عبد الرحيم بن الحسين ص (٣٨ ، ٣٩) - سلسلة قضايا عربية - تصدرها رابطة الأدباء في الكويت .

٢ - التبشير العالمي ص (٧٧) .

ثامناً : التدخل الرسمي عن طريق سفاراتنا وقنصلياتنا في الخارج لحماية الرعايا المسلمين والمطالبة برفع الاضطهاد عنهم كمسلمي بلغاريا وغيرهم .

تاسعاً : دعم رسالة المراكز الإسلامية في دول الغرب الكبرى وتنشيط حركتها والاستفادة من خبرتها في هذا المجال .

عاشراً : على الحكومات الإسلامية وأثرياء المسلمين أن لا يبخلوا بالجهد والمال في سبيل نشر الدعوة في الداخل والخارج والإسهام في الأعباء التي تتطلبها خطة الدعوة) (١) .

وهذه الخطوات وتلكم الاقتراحات لمواجهة الفكر الغربي من الدكتور المطعني ، لو وضعت حقا في حيز التنفيذ لأتت الدعوة أكلها ، وأثمرت في الحقل الإسلامي ثمرات طيبة كلها النفع للمسلمين ، ولشكل المسلمون قوة هائلة يزودون بها عن دينهم وأوطانهم كل معتد أثيم .

طريق العلاج في فكر صاحب أجنحة المكر :

يقول (والعمل للإسلام الحق يتطلب من طلائع الوعي الإسلامي حركة فعالة متزنة تتسم بطول الصبر ، وسعة الصدر ، وعدم استعجال النتائج ، والتخطيط للأمد البعيد بفكر عميق مستفيد من تجارب الماضي وعظاته ... ولهذه الحركة الإسلامية أن تستفيد من خطة العمل التالية :

١ – ينطلق العمل الإسلامي بالاعتماد على عنصرين رئيسيين من عناصر العمل الفعالة المنتجة ، بهدوء واتزان ودأب .

---

١ – السابق ص (٧٧ ، ٧٨) باختصار شديد ، وينظر مقال : أوضاع الأقليات المسلمة في القارة الأفريقية للمشير سوار الذهب ج ٢ ص (٤٢٧) وما بعدها من الكتاب الحادي عشر من مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية .

العنصر الأول : مثقفون ثقافة إسلامية واعية متسمة بعمق التفكير وسعة الأفق ورحابة الصدر وقوة الحجة ، والفاعلية الدائبة .

العنصر الثاني : جمهور من الملتزمين بالإسلام عقيدة وعملا .

إن العمل الإسلامي إذا انطلق من قاعدة سليمة ، ومن أرض صالحة وخصبة مزودة بهؤلاء المثقفين ثقافة إسلامية واعية ، وجمهور ملتزم بالإسلام التزاماً صادقاً استطاع هذا العمل فعلاً أن يقف في وجه هذا الزحف الصليبي ، ويعمل على كسره وإماتته فتصبح القوة الإسلامية " الأمة الإسلامية " قوة ضاربة يعمل لها ألف حساب .

٢ – منهاج العمل : ولإعداد عنصري العمل السابقين يمكن رسم بعض الخطوات الرئيسية دون الدخول في التفاصيل .

الخطوة الأولى : الانطلاق إلى العمل ، وتتم هذه الخطوة بإحدى وسيلتين :

أ – باندفاع نواة أولى صالحة للاستقطاب ، ومزودة بكفاءات طيبة للعمل ، ومعرفة إسلامية واسعة ، وأخلاق قيادية حكيمة .

ب – وإما بتجميع نخبة ممتازة من الباحثين الإسلاميين ، ليصدر عنهم مجتمعين الانطلاق إلى العمل .

وفي رأيي أن الجمع بين الوسيلتين أفضل ، لأن الهجمة الاستعمارية الصليبية شرسه تتطلب منا كل قوة وكل إعداد ، لاسيما وقد قال الحق تبارك وتعالى " وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ " .

الخطوة الثانية : وضع ميثاق إسلامي عام يمكن أن يلتقي عليه معظم المسلمين ، وأن يلتزموا به بعيداً عن إثارة كل النقاط الخلافية .

الخطوة الثالثة : وضع منهاج التثقيف الإسلامي العام باختيار البحوث الإسلامية التي يحتاجها المسلم المعاصر .

الخطوة الرابعة : إعداد المصنفات الإسلامية الحديثة أو انتقاء المناسب منها، على أن يتناول البحث الموضوعات المقررة للتثقيف الإسلامي العام .

الخطوة الخامسة : إعداد جيش المثقفين ثقافة إسلامية راقية مقرونه بوعي والتزام واتزان .

الخطوة السادسة : التوعية الإسلامية العامة ، بمستويات تتناسب مع حال الجماهير المختلفة .

الخطوة السابعة : تبريد حرارة الخلافات المذهبية والعمل تقريب وجهات النظر بطريقة لا جدال فيها ولا مشاحنات .

الخطوة الثامنة : فضح دسائس أعداء الإسلام الفكرية والعملية بين المسلمين، وإبراز الصورة المشرقة الحقة بكل وسيلة من وسائل الإعلام والتوير

الخطة التاسعة : استغلال المشاعر الإنسانية لإيقاف المسلمين موقف الحذر في مواجهة كل غزو فكري يمس عقائدهم وعبادتهم وأخلاقهم ونظمهم الإسلامية ووحدتهم العاليمة .

الخطوة العاشرة : تجنب أي صراع مباشر مع أية حركة إسلامية مهما كان نوعها ، لأن هذا الصراع من شأنه أن يبدد طاقات المسلمين .

الخطوة الحادية عشرة : توجيه قدر كبير من طاقات العمل إلي بلاد الغزاة لنشر الإسلام الصحيح الصافي فيها بمختلف وسائل النشر مع إعطاء صورة سليمة للتطبيق الإسلامي) (١) .

---

١ – أجنحة المكر الثلاثة ص (٦٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢) بتصريف وينظر أيضاً : أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي للأستاذ / أنور الجندي ص (١٨) وما بعدها الطبعة الثالثة سنة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م – دار الصحوة للنشر والتوزيع – بالقاهرة .

والحقيقة أن منهج العمل في ضوء هذه الخطوات والعمل على تنفيذها بصورة جدية أمر لا بد منه ، لأن الإسلام تتكالب عليه كل القوى الاستعمارية بضراوة شديدة وبشتى الوسائل ، حتى ولو كانت وسائل رخيصة ودنيئة ، كما هو الحال في سلوك هؤلاء الصليبيين .

فالواجب على ولاة أمر المسلمين – الحكام والعلماء – أن يقوموا بواجبهم حيال دينهم ، بالتمسك به والعمل على نشره ، والزود عنه ، وتوعية أبناء الإسلام بدينهم توعية صحيحة ، فديننا فيه من القوة الذاتية ، والرحابة والسعة ما يمكن له في عالمنا المعاصر .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾ (١) .

وفي هذا توجيه للأمة ، علماء ، وحكام ، ومحكومين بأن يمكنوا لدين الله عز وجل في كل بقاع الأرض ، بالعمل على نصرته ، ونشره ، والاعتزاز به ، فهو دين العزة لمن أراد العزة في الدنيا والآخرة .

" والله يقول الحق وهو يهدي السبيل "

والحمد لله أولاً وآخراً

---

١ – الآية رقم (٤١) من سورة الحج .

مصادر البحث

القرآن الكريم

١ – أجنحة المكر الثلاثة وخوا فيها – التبشير – الاستشراق الاستعمار للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني – الطبعة السابعة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م – دار العلم دمشق .

٢ – الإسلام على مفترق الطرق للأستاذ / محمد أسد ، الدكتور / عمر فروخ – طبعة دار العلم للملايين ١٩٨٤ م .

٣ – أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي للأستاذ / أنور الجندي الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م – دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة .

٤ – التبشير والاستعمار في البلاد العربية للدكتور / مصطفى خالدي ، والدكتور / عمر فروخ طبعة ١٩٨٣ م منشورات المكتبة العصرية – صيدا – بيروت .

٥ – التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة للأستاذ / أنور الجندي طبعة دار الأنصار إيداع ١٩٨٣ م .

٦ – التبشير العالمي ضد الإسلام للدكتور / عبد العظيم المطعني – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م – مكتبة النور .

٧ – التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٧٨ م .

٨ – الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها ومقاومتها ، للدكتور / بركات عبد الفتاح دويدار – الطبعة الرابعة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م – دار التراث العربي للطبع والنشر – القاهرة .

٩ – حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان ، ونقله إلي العربية الأستاذ / عجاج نويهض – الطبعة الرابعة ١٩٧٣ ن – ١٣٩٤ هـ – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٠ – جريدة العالم الإسلامي الأسبوعية في عددها الصادر يوم الاثنين ١١ جمادي الأول ١٤١٧ هـ ٢٣ ديسمبر ١٩٩٦ م .

١١ – صيحة تحذير من دعاة التنصير لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الغزالي – الطبعة الأولي ١٤١١ هـ – ٢٠٠٠ م – دار القلم – دمشق .

١٢ – الغارة على العالم الإسلامي آ.ل. شاتليه ، لخصها ونقلها إلي العربية الأستاذان / محب الدين الخطيب ، مساعد اليافي – طبعة ١٣٩٨ هـ – الطبعة السلفية ومكتبتها .

١٣ – في ظلال القرآن : للأستاذ / سيد قطب الثالثة عشرة ١٩٨٧ م – ١٤٠٧ هـ – دار الشروق .

١٤ – الفلسفة اليونانية ليوسف كرم طبعة دار القلم – بيروت بدون تاريخ .

١٥ – القُرب في فضل العرب للإمام الحافظ زين العابدين عبد الرحيم بن الحسين – سلسلة قضايا عربية – تصدرها رابطة الأدباء في الكويت .

١٦ – كتاب المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية ج ٢ .

١٧ – لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم للأمير شكيب أرسلان – الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٨٩ م – نشر وتوزيع دار الكلمة الطيبة .

١٨ – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للأستاذ / أبو الحسن الندوي – طبعة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م – مكتبة السلفة .

١٩ – المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية دكتور / إبراهيم أنيس وآخرون – الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م – دار المعارف – مصر .